يوميد

ما كادت تلوح بالأفق خيوط النهار الفضـــية الأولى، حتى كنا انتبهنا من نومنا: ديقاي وأنا، وقد أزمعنا الذهاب لصيد البط في ضواحي الهرم، وكان كل منا يحمل بندقية ذات عيارين وعدداً كبيراً من الخرطوش، عدنا السيارة ونحن أشد بهجة من فصائل اسكندر المقدوني الفتية لدى زحفها على أسيا.

أما المدينة فكانت غارقة في النوم في تلك الســـاعة المبكرة ساكنة بأحقادها وشهواتها، ولم يكن أحد مستيقظاً، اللهم الا محرك سيارتنا.

ســـارت بنا الســـيارة في شـــارع الهرم، ولما بلغنا المســـتنقعات الواقعة في الجهة الغربية من طريق الهرم، غادرناها وركبنا زورق طلي بالطلاء الأسـود حتى لا نشـعر البط بوجودنا بالمســـتنقع، وكان موجوداً بكثرة على ســـطح الماء.. هل كان البط نائماً وقتئذ؟ لم يكن لدينا شـــك في ذلك برغم اعتراض دليلنا - وكان فتى قرويا - وذلك لسكونه سكوناً عجيباً..

ولكنا كنا مخطئين إذ لم نكد نقترب منه حتى انطلق في الجو. كأنه ســـهم ناري فأطلقنا عليه البنادق في الهواء ولكن بدون جدوى رغم عدده الكثير.. لقد ظهرنا في عيني دليلنا القروي يادين غير ماهرين، فانتزع بندقية أحدنا وأطلق طلقة واحدة أسقطت بطة في الحال!

وا أسفاه على الدروس التي تلقيتها في باي للصيد في الهواء! كنت أتمرن وقتئذ على البيض، يقذفون لي البيض في

الهواء فأطلق عليه بندقيتي فاذا أصيب البيض وهو ما كان يقع نادراً - سال فأمطرنا مطراً اصفر.

وبعد محاولات يائسة لصيد البط، غادرنا المستنقع إذ لم نجد سبيلاً إلى البط فهو شديد الفطنة..

كيف يدرك البط الخطر على مسافات بعيدة؟ إن شأنه شأن الحمام الزاجل الذي يعرف طريق الوطن على بعد مئات من الأميال. هل تكشف لنا الطبيعة يوماً عن مثل هذه الأسرار؟

قبل أن نغادر تركنا لدليلنا القروي البطة التي ادها هو، حتى لا تذكرنا فشلنا على الدوام..

هل كنا نعود وقتئذ إلى المنزل؟ لم يكن في استطاعتنا أن نفعل ذلك، إذ لوعدنا لصرنا سخرية للجميع.. ممن بعد ذلك على البحث عن طير يكون أقل فطنة من البط..

ها نحن أولاء نسير وسط الغيطان التي كسيت بساطا أخضر جميلاً من البرسيم.. وثم اعترضتنا ترعة لاجسر عليها للمرور، وكنا في حيرة من أمرنا حينما أقبل قروي وتطوع أن يحملنا على ظهره عبر الترعة. وقد مرت بهذه الطريقة، ومر أحدديقي. وأما الصديق الثالث وكان بديناً، فقد غرز هو وحامله في الطين، وبدلاً من أن يعمل على الخروج من الترعة، أخذ يضرب القروي المسكين!. ياله من منظر مضحك أنسانا فشلنا مع البط!

ثم أقبل قرويان آخران فقاما بعمليه النجدة.. بعد ذلك بلغنا مكانا مظللاً بالأشجار الكثيفة، حيث أخذت العصافير تزقزق جزلة مسرورة.. وقد شاهدنا على أحد الغصون يمامتين تتناجيان، كم كان منظرهما جميلاً، وقد طوق عنقاهما بطوق فاحم جميل، كما رصع منقاراهما بالياقوت..

ثم حدث ما كنت أخشـــى وقوعه، فقد اقترح ديقاي أن نصـــطادهما! لم يكن في طاقتي أن أطلق النار على هذين المخلوقين الجميلين، إنها حقا لوحشـــيه! لذلك رفضـــت، فقال أحدديقي ليقنعني: أطلق ولاتكن غبياً، لقد حللت لك الصـــيد قوانين الســـموات والأرض! فقلـت: ليكن، ولكن قلبي لا يطاوعني! ولما رآني ديقي مصـــمماً على الامتناع، أطلق هو عياراً

فأردى إحدى اليمامتين، سقطت وقد كسر جناحها، كما أن خرطوشـــة أخرى لا بد أنها اخترقت قلبها، لأن الدم كان يسيل من منقارها بغزارة.

ورغم وحشـــيتنا هذه. كانت عينا اليمامة ترمقاننا في حنان، كأنها قد غفرت لنا فعلنا كما غفر عيســـى من قبل لمضـــطهديه اليهود! يا للأســـف! إننا ما زلنا متوحشـــين نســـر لرؤية الدم! كم نحن بعيدون عن المثل العليا التي ينشـــدها أفلاطون!

ومن ذلك اليوم كرهت الصيد، فكل عام اجدد رخصتي دون أن أجدد رغبتي.